أبعاد

سعيد الحمد

عبدالله الخان.. ذاكرة وطن

الصورة وثيقة والصورة تاريخ والصورة سرديات تبدأ من صورة نراها لتنثال من الذاكرة ذكريات وحكايات، والصورة تاريخ للحظة ولمفصل ولبداية أو نهاية، لكنها في كل المعاني والدلالات تبقى سجلاً لا يموت ولا ينتهي وتلك هي اسرار الصورة، نلتقطها في لحظة لتبقى العمر كله وينتهي العمر ولا تنتهي الصورة التي تعود إليها أجيال وأجيال لتستشهد وترى.

وهكذا هو المصور مؤرخ وموثق بالكاميرا وهكذا هو عبدالله الخان ابن فريج البنعلي وابن المحرق وابن البحرين الذي حمل كاميرته على كتفه منذ مطلع شبابه الاول ومازال يحمل «الحبيبة» طوال مشوار من العمر طويل لم يتخلَ عنها ولم تتخلَ عنه، فالرفيقان «عبدالله والكاميرا» حكاية بحرينية تفوح بعطر الذكرى وتنضح عشقاً للوطن ليس كمثله عشق.

إذا لم تعشق وطنك فلن تكون مصوراً ناجحاً لتاريخ الوطن، وهكذا كان عبدالله الخان ومازال ليس محباً بل عاشقاً متيماً بالوطن، ولذا فقد استطاع بروحه قبل عدسته ان يكون منذ الستينات الى اليوم في كل حدث وطني كبير ومهم يوثق بعين الكاميرا.

عرفته وانا صغير في برنامج ركن الاشبال بإشراف الراحل الاستاذ عتيق سعيد في منتصف الستينات، جاءنا الى استديو اذاعة البحرين وبدأ في تصوير لقطات للبرنامج بمناسبة مرور عام واحد على ركن الاشبال ومازلنا نحتفظ ببعض الصور.

وذلك هو سر الصورة أعود إليها كلما أردت ان اكتب عن بدايات عملي الاعلامي الطويل وابدأ دائماً ذكرياتي وكتاباتي بصورة التقطتها عدسة الخان الذي ذهب بعيداً في توثيق الذاكرة البحرينية أو توثيق ذاكرة المكان في بلادنا في فرجاننا القديمة وفي تراثنا، وهو التراث الذي أخرج عنه الخان سفراً ضخماً من الصور التاريخية القديمة وجعلها بين ضفتي كتاب جميل رائع التنسيق هو بمثابة المرجع يعود إليه كل باحث وكل طالب.

والجميل ايضاً هو ذلك السفر الآخر من الصور التاريخية النادرة عن المحرق مدينة ذلك المصور التي احبها وولد فيها ونشأ بين فرجانها القديمة من البنعلي، مروراً بفريج المعاودة والصنقل الذي كان للخان اصدقاء طفولة وملاعب طفولة فيه فذهب الى تلك الفرجان والتقط الصور واحتفظ بها سنين ليخرجها بعد تقاعده وتفرغه في كتاب منمق، وانتظمت صور المحرق فيه لتشكل ذاكرتنا وذاكرة البحرين ايضاً.. وذلك هو الابداع الذي امتزج مع إبداع آخر للخان حين سهر الليالي يجمع وينظم صوراً ولقطات نادرة لاول تجربة ديمقراطية في البحرين قبل اربعة عقود، ففي مطلع السبعينات ومع تجربة المجلس التأسيسي كان الخان هناك بعدسته داخل قاعة مبنى بلدية المنامة، حيث عقدت الجلسات ليصور ويلتقط للاعضاء صوراً هي اليوم بمثابة كنز للتاريخ.

وكذلك فعل هذا الفنان حين تأبط عدسته وذهب لنفس القاعة ليلتقط بعد شهور من مطلع السبعينات صوراً نادرة لاعضاء اول مجلس وطني «برلمان»، فكانت حصيلته غنية وثرية بصور ولقطات لا تتكرر ولا تستعاد لشخوص وافراد كانوا جزءاً من تجربة بحرينية ثرية.

واخرج عبدالله الخان تلك الصور في كتب ومازال ساهراً وعاكفاً على تنضيد مجاميع اخرى لمشاريع اخرى من كتب هي بالفعل ذاكراتنا وذاكرة المكان وذاكرة الزمان وذاكرة افراد وشخوص صنعوا اللحظة آنذاك.

عبدالله الخان مصور بحريني تعب على نفسه واجتهد وحده ومازال يجتهد وحيداً على طريق صعب وشائك وطويل، فهلا التفتت اليه عيون وامتدت اليه يد لتساعده على اخراج كنوزه وهي كنوز للوطن؟؟

مجرد سؤال خطر على البال وأنا أتصفح صوره في تلك الكتب وارحل معها وكأني أرحل مع تاريخ وطني وذاكرة وطني وأرشيفها الجميل الذي يحتاج الى فريق عمل فني متكامل يواصل المسيرة مع الرواد من امثال عبدالله الخان ومجموعة رجال أحبوا هذا الوطن حتى ذابوا في كل شيء منه.

إذا لم تعشق وطنك فلن تكون مصوراً ناجحاً

للرجوع للمقالات السابقة

د.عبدالله المدني

من طرائف أسماء الشُهْرة أيام لوّل

غالبا ما يُشار إلى مرتكبي الجرائم المنشورة تفاصيلها في الصحافة المصرية، أو الجرائم التي تتضمنها الأفلام السينمائية المصرية إلى الإسم الرسمي للمجرم مقترنا بعبارة «الشهير بكذا». وفي مجتمعنا البحريني القديم وجدت هذه الظاهرة أيضا، لكن بعيدا عن الجرائم والحوادث، بمعنى أن الناس كانت تطلق على الشخصيات أسماءها الحقيقية مقترنة باسم آخر تمييزا لها أو تندرا عليها. وغالبا ما كان هذا الاسم الآخر مستوحى من عاهة مستديمة مثل «الحول» أو «العرج»، أو مستوحى من صفة ملازمة لصاحبها في الحديث أوالشكل أو الحركة، أو مستوحى من مهنة الشخص او مهن زاولتها أسرته.

ولا تسمح هذه المساحة الضيقة المخصصة للمقال باستعراض كل ما تختزنه الذاكرة من أسماء طريفة ذات دلالات اجتماعية عميقة لشخوص عرفناها في منامة الخمسينات والستينات والسبعينات، غير انه بالإمكان الحديث عن بعضها من باب الرصد الاجتماعي لظاهرة تكاد أن تنقرض اليوم، أو انقرضت بالفعل بسبب ما طرأ على المجتمع وناسه من تحولات. ففي مجتمع كمجتمع المنامة زاخر بالألوان والتعددية العرقية والثقافية، كان من الطبيعي أن تسمع الأسماء الحقيقية وأسماء الشهرة المستندة على الأوصاف الجسمانية والمهنية لجملة من الناس وهي معجونة عجنا بكلمات وأوصاف عربية وأخرى فارسية أو عربفارسية.

ففي القضيبية، وتحديدا في «فريج العوضية» كان هناك شخصيتان تحملان اسم محمود. وللتمييز بينهما أطلق بعض الأهالي على الأول اسم «محمود ديغول» كناية عن أنفه الضخم المشابه لأنف الرئيس الفرنسي الراحل «شارل ديغول»، فيما أطلق البعض الآخر عليه اسم «محمود دراز» كناية عن طوله الفارع، حيث «دراز» تعني بالفارسية الرجل أو الشيء الطويل. أما محمود الثاني فأطلقوا عليه اسم «محمود خـَرْ» أي محمود الحمار –كرم الله القراء– وذلك كناية عن عناده وتصلبه في رأيه وعدم القدرة على إقناعه بفكرة أو عمل ما. وفي رواية أخرى قيل أن تلك الصفة التصقت باسمه لأن والده كان يعمل في زمن «الإنكرينز» (الإنجليز) جابيا للضرائب المفروضة على أصحاب عربات الحمير. ومن الأسماء الأخرى في فريج العوضية «مـدو سيكلي» أي «محمد بوسيكل»، وسبب التسمية أن صاحبها كان عاشقا ولهانا للدراجات العادية إلى الدرجة التي كان لا يفارقها لحظة واحدة، بل يستمر في قيادتها طوال النهار متنقلا من مكان إلى آخر، إلى أن انتهى به المطاف إلى فتح دكان كئيب لتصليح الدراجات وتزييتها. وكان هناك أيضا «مشـّريف دو خط» أي «محمد أبوخطين» حيث كان هذا يعمل في الحراسة ويتجول في الفريج بزيه المميز وعلى ذراعه شارتان. وفي مكان غير بعيد كثيرا عن «فريج العوضية»، وتحديدا بالقرب من مأتم «خدارسون» ومقبرة المسيحيين كان هناك شخص يسمونه «إسماعيل شرشن» كناية عن قسوته ورعونته في مطاردة الصبية المشاغبين ومعاقبتهم بطريقة لا يفعلها سوى الشراشنة اي الغجر، إضافة إلى شخص آخر أطلق عليه الأهالي اسم «حمـّود بودمغه» بسبب شامة كبيرة كانت تتوسط جبهته، وشخص ثالث سـموه «حسن جيكروه» أي «حسن بالجبود» لأنه كان مغرما بأكل الكبدة، ولا يتناول سواها من المشويات، وشخص رابع سموه «محمد صرخوه» بسبب بشرته المائلة دوما إلى الإحمرار الشديد القريب من حمرة الطماطم.

أما في الحورة فحدث ولا حرج، حيث تزاحمت أسماء الشهرة، وتنوعت، وفاقت كل الحدود بسبب تنوع خلفيات سكانها وتعدد ثقافاتهم ومهنهم. فكان هناك في جنوبها شخص اصطلح على تسميته بـ «عيسوُ كندادراي» لأن زجاجة مشروب الكندادراي لم تكن تفارق شفاهه وإنْ كانت خالية، حيث كان يدور بها في «السكيك» وهو يمص فوهتها مصا وكأنه بصدد استخراج شيء عالق بداخلها. وكان هناك صديقي في هواية مشاهدة تلفزيون أرامكو، وقص وجمع أفيشات الأفلام من المجلات المصرية المرحوم «أحمدوه بوتشلب» أي أحمد بوكلب. واسم الشهرة هنا لم يكن بسبب تربيته للكلاب كما قد يتبادر إلى الذهن، وإنما لأن أحمد كانت لديه بدلة لا يلبسها إلا في العيد ومعها ربطة عنق غريبة. ولم تكمن الغرابة في ألوانها المكونة من الأسود والأحمر والأزرق والبني والأخضر، وإنما أيضا في الصورة التي تتوسطها وكانت لكلب متوحش يفتح فاهه ويخرج لسانه. وقد ظل مصدر ربطة العنق هذه وطريقة حصول أحمد عليها سرا لم يبح به لأحد. إلى ذلك عرفنا في الحورة «مـّد كوتاه» أي محمد القصير كناية عن قصر طوله الملفت للنظر، و«عبـّود لقلق» الذي أطلقوا عليه هذا الإسم بسبب سيقانه الضعيفة المشابهة لسيقان طائر اللقلق.

على أن أكثر الصور التي لاتزال لصيقة بذاكرتي هي لثلاث شخصيات كانت تأتي إلى الحورة من المحرق لزيارة أقاربها. الأولى لشخص أطلق عليه اسم «عبدالرزاق برشوت». وسبب إلحاق اسمه بكلمة برشوت الأجنبية هو أن المسكين كان يقود «سيارة فورد طرز بوكلج موديل 55»، ولما كانت الأجواء حارة وسيارته غير مكيفة فإنه كان يحرص على فتح كل نوافذها وترك يده مدلاة من النافذة الجانبية، فكان الهواء يتسرب إلى داخل ثوبه من فتحة الكم محولا إياه إلى ما يشبه البالون أو البراشوت. أما الشخصية الثانية فكان اسمها «غلوم» لكن الأهالي أقرنوه بكلمة «دامبو» ليصير «غلوم دامبو». ولهذه التسمية قصة طريفة. فصاحبها كان أول من حصل على «الليسن» (رخصة القيادة) من البحرينيين الذكور، بل كان من القلائل الذين يملكون سيارة خاصة بهم، لذا كان كلما حل بمكان يهرع الناس إليه لسؤاله عن سيارته، فكان يجيبهم بكلمة «دامبو» وذلك من باب درء الحسد. وعند تفكيك كلمة «دامبو» نجد أن نصفها عربي والآخر فارسي، فهي في الأصل «دعم بو» أي تعرضت للدعم أي الإصطدام، لكن حرف العين أعدم تخفيفا لتصبح «دامبو». والشخصية الثالثة كانت تدعى «عيسو يـُبهْ يـُبهْ» كناية عن تناوله لنوع من المسكرات الرديئة الذي كان يـُعرف باسم «يـُبه يـُبه».

أطال الله عمر من اتينا على ذكرهم إنْ كانوا إلى اليوم بيننا، ورحم الله كل من انتقل منهم إلى بارئه.

أسماء طريفة ذات دلالات اجتماعية عميقة لشخوص في منامة الخمسينات

للرجوع للمقالات السابقة

elmadani@batelco.bh

بالقلم الرصاص

عثمان الماجد

الاتحـــــاد مسألـــــة وجـــود!!

إن المتتبع لوقائع الأحداث التي تشعل فتيلها «جمهوري إسلامي إيران» في أكثر من دولة خليجية، لَيُدرك حجم ما تسعى إليه قيادات هذه الجمهورية المذهبية من استهداف لأمن دول مجلس التعاون وسلامتها، بل إن هذه الدولة شرعت في افتعال الأزمات، وأخذت تلعب بأوراق عدائية مكشوفة عبر تحريك طابورها الخامس الذي تملك التأثير فيه في كل دول الخليج العربي، وشبه الجزيرة العربية من المنامة إلى بغداد، ومن بغداد إلى صنعاء. يقول المفكر والكاتب البحريني محمد جابر الأنصاري «أصبحت المواجهة في أيامنا عربية– فارسية ببعد طائفي تحاول إيران استثماره.» إذن، الحال المتردية مع هذه الجمهورية مستمرة بذات المنوال العدائي وبذات النسق التآمري على دول مجلس التعاون، وإذا كان استمرار الطفرة التنموية في دول مجلس التعاون واتجاهه إلى التأثير في اقتصاديات العالم مرتبطا بشكل وثيق بالاتحاد فيما بينها، فما بالك بأمن هذه الدول ورفاهها وأمنها الاجتماعيين؟ أليس كل هذه العناصر فعالة في دفعنا إلى أن نستحث الخطى في اتجاه بناء كينونة سياسية جديدة للمجلس يصبح معها أفضل مجسد لمقولات التوحد والاتحاد ضرورة استراتيجية وتكتيكية في آن لمواجهة الهجمة الإيرانية الشرسة؟

لقد مرت أكثر من ثلاثين عاما على إنشاء مجلس التعاون، كيانا واعدا، بوحدة أكيدة، وإن هذه الوحدة الأكيدة هي الأمانة التي استودعها لدينا قادة دول المجلس المؤسسون الأولون الذين غادرونا إلى عالم الخلود. والحديث عن الاتحاد يجب أن يخرج عن كونه ترفا أكاديميا نتداوله في أروقة الجامعات ومراكز البحوث ليخرج إلى حيز الفعل، إلى الشكل الذي ينبغي أن يكون عليه، حيث المباشرة في تأسيس الهياكل المنظمة لشكل هذا الاتحاد وآفاقه، لأن هذا الاتحاد ببساطة أضحى بالنسبة إلى كياننا الخليجي مسألة بقاء ووجود. ويبقى على الجامعات ومراكز الأبحاث عمل مهم عليها أن تضطلع به وهو شكل هذا الاتحاد وليس فكرته وإظهار الفوائد الجمة منه على دول العالم أجمع.

مع مرور كل عام، منذ 1981، يتجدد الأمل لدى أبناء هذه الدول– ما عدا فئة قليلة منهم رهنت مستقبلها بمستقبل المذهب لا الوطن– بانتقال الاتحاد من صيغته الحالية التي بها أنشئ إلى صيغة أكثر تعبيرا عن توق شعوب دوله ورغبتهم في الاتحاد بل والاندماج في كينونة سياسية جديدة. وقد تعزز هذا الشعور أكثر وأكثر غداة تحرير الكويت من الغزو العراقي عام 1991. وها هي تطفو على السطح مرة أخرى مناشدات شعبية في شكل استغاثات طالعة من عضو مؤسس، من البحرين التي عانت كثيرا من تآمر إيراني لا يتوقف على سيادته ويطعن في انتمائه العربي، لتفعيل مطلب الوحدة وقد ارتقى من حيث الأهمية ليكون اقتضاء تاريخيا وحضاريا وحيويا ومنطقيا واقتصاديا وسياسيا. إن اتحادا يضم دول مجلس التعاون لكفيل بدرء أي تهديد أو اعتداء قد يتكرر على المنطقة من آخرين يضمرون شرا لدول هذا المجلس ولأبنائه، وهم كثر في الداخل والخارج.

لقد عبر عاهل المملكة العربية السعودية، خادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله في القمة الثانية والثلاثين في الرياض عما يختلج في نفوس أبناء دول مجلس التعاون وعما يعتمر قلوبهم من رغبة توارثوها من الآباء في الاتحاد، وقال ينبغي «تجاوز مرحلة التعاون إلى مرحلة الاتحاد، في كيان موحد.» كانت كلمات موجزة ولكنها واضحة الدلالة والمعنى، فهي كلمات تناول فيها خادم الحرمين الشريفين التهديدات التي تواجه دول الخليج ومستقبلها، وشخص أسباب الضعف والهزال ووضع العلاج المتمثل في الاتحاد.

إن دول مجلس التعاون لم تكن قط بحاجة إلى مثل هذا الاتحاد مثل حاجتها إليه الآن. لقد تمادت إيران وأسرفت في تدخلاتها الفجة في شؤون دول مجلس التعاون، والعمل على زعزعة الأمن والسلم فيها، مرة باسم التطلع إلى ريادة دول المنطقة عملا بحلم قديم كان يداعب شاه إيران محمد رضا بهلوي، ولم ينله، ومرة أخرى باسم الدفاع عن هذه المنطقة، ولكنها في كل المرات تستثمر البعد الطائفي الذي تعمل على إبقائه في حالة مستنفرة في بعض دول مجلس التعاون وخصوصا في البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت لتدق إسفين الشقاق والفرقة داخل دول المجلس. إن واقع دول المجلس المتآلفة قلوبها لا يحتاج إلا إلى خطوة يتيمة ليتحول حلم الاندماج إلى حقيقة واقعة ويجعل هذه الدول مجتمعة صخرة صماء تتكسر عليها كل المطامع الخارجية.

إن الأمل ليحدونا نحن أبناء دول مجلس التعاون بألا تنطفئ جذوة الرغبة في إقامة هذا الاتحاد بين شعوب دولنا العطشى لمثل هذه اللحمة التي تعبر عن تاريخ متراكم من النضال من أجلها. لقد غدا الاتحاد حالة ضرورية، وما يمثل حالة ضرورية إيجابية، على رأي المفكر العربي والكاتب طيب تيزيني، ينبغي إنجازه الآن، وليس غدا. هذا إذا كنا صادقين مع شعوبنا في الحفاظ على سلمها وتأمين مد دول العالم بثلث إنتاج دول مجلسه من الطاقة.

يبقى أن نقول إن الحديث عن شكل الاتحاد وحجمه ومداه مهم، خصوصا إذا تعلق الأمر بالتفاوت الديمقراطي بين دول مجلس التعاون، لكن هذا لا يمكن له أن يعطل المشروع لكونه يتعلق بمسألة وجود هذه البلدان. إن البحث عن صيغة اتحادية لا تعيق التطور الطبيعي لكل دولة على حدة أمر لا أعتقد بأنه مستحيل، فتجارب دول العالم في التوحد غنية. وفي هذا الإطار نطرح سؤالا: «هل التطور الديمقراطي لدول غرب أوروبا مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا .. وغيرها هو نفس التطور لدى بلدان المعسكر الاشتراكي السابق؟ إن الإجابة عن هذا السؤال خليجيا كفيلة بوضع القواعد السياسية الأساسية البانية لمطمح الأجداد والمفعلة لتطلع جيلنا نحن إلى ميلاد فعلي جديد لوحدة دول الخليج العربي.

دول مجلس التعاون لم تكن قط بحاجة إلى مثل هذا الاتحاد مثل حاجتها إليه الآن

للرجوع للمقالات السابقة